(١)

اسألوا جمال عبد الناصر عن عائلة حضرة الضابط!

"الصلاة خير من النوم"

يجلجل صوت المؤذن فى الجزء الأخير من الليل وقد سكنت الحركة فى هذا الحى الشعبى العتيق... إلا من هؤلاء الذين خاصمهم النوم يمشون فى الظلمات إلى نور الله... أو هؤلاء الذين لا يملكون رفاهية النوم لأن أرزاقهم فى بكورهم يتمتمون باسم الله ويتوكلون على الحى القيوم ويسألونه خير هذا اليوم وما بعده ويقولون: نعوذ بالله العظيم وبوجهك الكريم وسلطانك القديم من الشيطان الرجيم.. باسم الله والصلاة والسلام على رسول الله.. اللهم افتح لنا أبواب رحمتك.

فى حى الجمالية تستطيع بسهولة أن تسمع وقت آذان الفجر سيمفونية إيمانية فريدة لا يمكن أن تجد لها مثيلا إلا فى مدينة الألف مئذنة...

فى الجمالية تشم رائحة التاريخ وأنت على مرمى خطوات من الأزهر الشريف.. ومسجد الحاكم بأمر الله.. والجامع الأقمر.. وأسوار القاهرة العتيقة ومدارسها الأيوبية وحى خان الخليلى والصاغة والنحاسين.

أمامك وحولك وخلفك وعن يمينك وشمالك باب النصر وباب الفتح وبين القصرين وباب الشعرية والدرب الأحمر وحى الحسين ومسجده.

حى على الصلاة.. حى على الفلاح

الله اكبر الله اكبر لا اله إلا الله

يمسك الضابط المتقاعد بيد حفيده الشاب وقد جاء به خصيصا لكى يطوف به فى هذا المكان دون غيره.. الجد الذى عاصر حروب مصر فى فلسطين عام ١٩٤٨ م ثم عام ١٩٥٦ م وقت العدوان الثلاثى ثم فى عام ١٩٦٧م وما تبعها من سنوات عجاف حتى أشرقت شمس النصر فى أكتوبر العظيم ١٩٧٣م ثم امتد به قطار العمر المديد حتى بلغ محطة ٢٥ يناير بكل ما فيها ثم ها هو ذا وقد أدرك ٣٠ يونيو ٢٠١٣م وقد خرج من الخدمة برتبة لواء ويسكن فى مدينة نصر.. لكنه يحتفظ بشقته القديمة العزيزة بشارع المبتديان على بعد خطوات من مسجد السيدة زينب.

الجد جاء بحفيده الشاب الذى نجح فى اجتياز اختبارات القبول بالكلية الحربية وفضلها على العديد من الكليات الأخرى ومجموعه يسمح له بذلك جاء به إلى هذا الحى وفى هذا التوقيت يبحث عن آثار وخطى ابن الجمالية الذى شهد له كبار الحى جميعا وهو الشاب عبد الفتاح أو حضرة الضابط ابن الحاج سعيد السيسى وهو من الذين تتجافى

جنوبهـم عن المضاجـع خوفا وطمعا ويحرص على صلاة الفجر فـى جماعة.. ويتحول إلى مسحراتى طوال العام يوقظ إخوته وأقاربه وجيرانه لكى يكسب المزيد من الثواب..

هـا هى ذى حارة البرقوقية حيث ولد.. ويا سـبحان الله فقد جمع التاريخ والجغرافيا بين شخص السلطان سيف الدين برقوق والضابط عبد الفتاح السيسى فكلاهما برع فى فنون العسكرية والحرب وكلاهما لم يسع للسلطة لكنها الظروف التى تحيط بالشخص.. وتفرض عليه بدافع النخوة والرجولة والوطنية أن يقول كلمته لوجه الله..

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (سورة الحشر، آية ١٠)... هكذا يأتى صوت إمام المسجد فى الركعة الثانية من صلاة الفجر..

يمضى الجد مع حفيده بعد الصلاة وقد بدأت الأرض تشـرق بنور ربها يسـتعيد شريط الأحداث وما جرى باسـم مصر.. مرة بدعوى الديمقراطية والتوريث.. وأخرى باسـم الدين ويتمتم فى سره مع خطواته الرزينة المتزنة:

– اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما حييتنـا واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنـا فـى ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسـلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا.. اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك واغننى بفضلك عمن سواك...

يعيد الجد الدعاء على مسامع الحفيد أو مشروع الضابط لأن هذا الدعاء يليق بمقاتل قد تغره قوته وشبابه فيركض خلف المغانم ويبيع دينه ودنياه وهذا ما لا يحدث إلا نادرا.

واحد شاى

"وعندك واحد شـاى حليب ميزه والسـكر بوسـطه"..هكذا ينادى "جرسـون" قهوة "حسان" وهو يطوف بين الموائد يلبى الطلبات ويجمع الحسابات ويرحب بالزبائن وأغلبهم وجوههم معتادة ومشـروباتهم معروفة "حلبه حصى"..قهوة مظبوط.. سحلب بالمكسرات.. شـاى سـادة على ميه بيضا.. يحضرون غالبا ومعهم إفطارهم من عربات الفول أو المطاعم البسيطة.. أو محلات الفطائر، هنا فى الجمالية اطلب تجد حيث لا نوم ولا دمع يا عينيه" صور السيسى تغطى حوائط المنطقة وكيف لا وهو "ابن الحته؟ مصدر الفخر والاعتزاز..

يقول الجد:

هنـا مناطق الفتـوات رموز الجدعنة لأن قوتهم ضد المسـتبد الباغـى يعرفون الواجب والأصـول كلمتهم مثل السـيف لكل حارة فتوة فى العطوف وقصر الشـوق وأرض المماليك والحسين والغورية...

يسأل الحفيد عن "السيسى" ويطلب المزيد هنا فى مسقط الرأس.

يقول الجد:

علينا أن نرجع إلى ابن الحته أيضا الأديب الكبير نجيب محفوظ. فهو شاهد عيان على الجمالية وعنها يقول:

هنا نجد عالما غريبا حيث تتمثل فى الحارة جميع طبقات الشـعب المصرى نجد مثلا ربعا يسـكنه ناس بسـطاء أذكر منهم عسكرى بوليس، موظفا صغيرا فى كبانية الميه، امرأة فقيرة تسـرح بفجل أو لب وزوجها ضرير لهم حجرة فى الربع وأمام الربع مباشـرة تجد بيتا صغيرا تسـكنه امرأة من اللواتى تلقين التعليم وتوظفن ثم نجد بيوت أعيان كبار مثل بيـت السـكرى، بيت المهيلمى، بيت السيسـى... وبيوت قديمـة أصحابها تجار أو من أولئك الذين يعيشـون على الوقف كنت تجد أغنى فئات المجتمع ثم الطبقة المتوسـطة ثم الفقـراء لهذا نجد القلوب مؤتلفة وقريبة مـن بعضها البعض تجمعها الجيرة والمودة ودفء الأحياء العتيقة..

مجددا يسأل الحفيد:

معنى كده أن الجذور والنشأة تحدد مسار الإنسان؟

يجيب الجد مبتسـما وأكثر من هذا روح الجندية التى تتسـم دائمـا وابدأ بالانتماء إلى الوطـن والـولاء له بعد الولاء للمولى سـبحانه وتعالى.. وأبناء الأصول والعائلات الراسـخة يلتزمـون أكثر من غيرهم لأن الكل يتطلع إليهم.. وهذا هو.. عبد الفتاح ابن الحاج سـعيد السيسى.. وقد سمعت بنفسك كبار الحى يقولون عنه: كان دائما وأبدًا فى حاله.. لا يميل إلى مخالطـة الآخريـن فهو لا يتواجد على المقاهى المنتشـرة هنا وهناك.. حيث لا شـاى ولا قهوة ولا سيجارة.. فقط يحب الرياضة.. ويعتز جدا بأديب الجمالية نجيب محفوظ.. ويشعر أنه شاركه فى كتابة الثلاثية أو قل أحد أبطالها بشكل أو بآخر

هنا كانت مدرسته الابتدائية (البكرى) ثم تحول قليلا فى الإعدادية إلى مدرسة باب الشعرية ثم فى المرحلة الثانوية درس بنفس مدرسة نجيب محفوظ وهى خليل أغا الثانوية وفيها بدأ يلعب الحديد

أسرته الكبيرة أعمامه وأولادهم يجمعهم بيت الجد الحاج حسين خليل وقد اشتهروا بصناعة الأرابيسك

هنا يسأل الحفيد فى حماس:

لحظة يا جدى لقد تذكرت الآن مسلسل "أرابيسك" وكيف كان حسن أرابيسك بطل العمل يبحث عن هويته وجذوره بين ما هو فرعونى وقبطى وإسلامى وعربى وإفريقى وأسيوى ويجد انه خلطة سحرية من كل هؤلاء

يقول الجد الذى تابع هذا المسلسل أكثر من مرة:

يا سبحان الله؟ هل كان أسامة أنور عكاشة مؤلف ليالى الحلمية والذى أحب أيضا هذه المنطقة وهو يمضى على طريق نجيب محفوظ هل كان يعرف أن ابن "أرابيسك" سوف يظهر بعد سنوات مثل شهاب لكى يمسك بقبضته التاريخ وهو ينقذ البلاد والعباد من أنياب عصابة تاجرت بالإسلام لكى تسرق هوية مصر وتبيعها فى أسواق الشرق الأوسط كقطع غيار ودويلات صغيرة هنا وهناك فى مؤامرة غير مسبوقة

انظر إلى والد عبد الفتاح إنه الحاج سعيد ومع ذلك شهرته "حسن" فهل استمد أسامة أنور عكاشة واستوحى بطله من الوالد الذى كان اسمه مكتوبا بماء الذهب على واجهة المحل وعلى الحائط "شهادة الدارة" التى حصل عليها من الرئيس السادات وإلى جانب ذلك محلات الأشقاء شعبان ومحمود ومحمد وكلهم أيضا أهل "أرابيسك" وغيرهم من أعمام عبد الفتاح درسوا الهندسة مثل مرزوق وخليل...

تمتلك العائلة أكثر من عشرة محلات وأفرادها يقتربون من الألف أبا عن جد عن عم عن خال...

يتذكر الجد أيضا كيف أن جمال عبد الناصر عاش أيضا فى هذا الحى التاريخى مع خاله عندما جاء من الإسكندرية فى حارة تبعد أمتارا قليلة عن بيت السيسى وهكذا جمعت الصورة الواحدة بين عبد الفتاح وجمال.. وها هى ذى الصورة أيضا نجيب محفوظ وأسامة

أنور عكاشة لكن ما يمنح الصورة جمالها الحقيقى هذا الشعب العظيم.. الذى استمد حكمته من قول الصوفية:

– الشيء الذى لا يمكن التعبير عنه بكلمات... لا يمكن إدراكه إلا بالصمت.

– وآه من الصمت وآه من الصامتين... أليس كذلك يا عبد الفتاح؟!

❑❑❑